مدينة المنصورة الأثرية: ظروف نشأتها وعمرانها.

أ.د بالحاج معروف*

مقدمة: لقد أولى السلاطين المسلمون عناية خاصّة لتأسيس المدن منذ الفترات التاريخية الأولى لظهور الدين الإسلامي، فشيّدوا مدنا عديدة في كلّ المناطق التي فتحوها سواء في المشرق مثل البصرة والكوفة والفسطاط ...الخ، أو في بلاد المغرب الإسلامي مثل القيروان التي شيّدها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ، وتيهرت التي بناها عبد الرحمن بن رستم سنة 160هـ، وقرطبة التي أقامها عبد الرحمن الداخل وفاس ورقادة والمهدية ومراكش وبجاية وغيرها من المدن الأخرى التي شهدت ازدهارا ونموا منقطع النظير حتّى صارت من الحواضر الإسلامية الكبرى، وقد حذا السلاطين المرينيون حذو أسلافهم فأسّسوا مدنا ضاهت ونافست المدن السابقة لها، وهكذا كانت مدينة المنصورة- التي لم يبق منها حاليا إلاّ الأطلال - بعد تأسيسها من بين أروع ما أنتجته الحضارة الإسلامية في مجال العمران ببلاد المغرب الإسلامي حسب ما ورد في المصادر التاريخية، وقد نشأت هذه المدينة في ظروف استثنائية، إلاّ أنّها تطوّرت في فترة زمنية قصيرة لتصبح قبلة التجار من المشرق والمغرب، وسنحاول هنا التعرّض إلى تلك الظروف الاستثنائية التي نشأت فيها المدينة وإلى عمرانها مع التطرق إلى أهمّ منشآتها المعمارية.

1 – ظروف تأسيس مدينة المنصورة: لم تكن نشأة مدينة المنصورة ضربا من الصدفة أو طفرة حضارية مجهولة السبب، ولكنها تأسّست في ظروف عصيبة واستثنائية وكان ظهورها خاضعا لعوامل وظروف أساسية منها:

أ – الحصار الطويل: بعد أن استعصت مدينة تلمسان الزيانية أمام الغارات التي كان يشنّها عليها أبو يعقوب يوسف المريني[1] وأسلافه لجأ السلطان المريني إلى وسيلة تجعل من مدينة تلمسان لقمة سائغة في يديه، فقرّر ضرب حصار طويل عليها ومنع أيّ تموين خارجي عنها حتّى تسقط،

* - أستاذ التعليم العالي في علم الآثار- قسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة تلمسان.

وذلك ببناء معسكر للجنود إلى جانبها، بحيث يسهر شخصيا على ديمومة الحصار واستمراره لفترة طويلة، ويتطوّر المعسكر مع إضافات المرافق الضرورية شيئا فشيئا إلى مدينة كبيرة محصّنة، وتتّفق جميع المصادر التاريخية على أنّ الحصار الطويل على تلمسان منذ 698 هـ/1299م إلى غاية 706هـ/1307م كان السبب الرئيسي لبناء المدينة.

ب – مناخ المنطقة: تتميّز مدينة تلمسان بمناخها القاري الذي يتّسم بالبرودة الشديدة والأمطار الغزيرة شتاء إضافة إلى تساقط كميات معتبرة من الثلوج، فلم يكن باستطاعة الجنود المرينيين المبيت لفترة طويلة تحت الفساطيط والخيام، وعليه أمر السلطان المريني أبو يعقوب يوسف جيشه حسب ما نقله ابن أبي زرع ببناء قصر له بمجرد حلول أوّل فصل للشتاء ثمّ شيّد مسجدا إلى جانبه، وتكملة لعمران المدينة تلاهما ببناء المرافق العامّة.

2 – إستراتيجية اختيار الموقع: تقع مدينة المنصورة حاليا (اللوحة رقم: 1) على بعد 2 كلم غرب مدينة تلمسان، وعلى بعد نصف كلم من باب الخميس، ويحدّها من الشمال السكّة الحديدية التي تحاذي الأسوار، ومن الجنوب هضبة العطّار ومن الغرب مدرسة الزراعة، وتتربّع المدينة على مساحة تقدر بحوالي مائة هكتار تحدّدها الأسوار المشيّدة بالطابية، والتي تمتدّ على مسافة 4 كلم(الشكل رقم: 2). وقد تأسّست داخل الأسوار وفوق البقايا الأثرية سنة 1850م قرية المنصورة التي احتلت مساحة تقدر بحوالي 40 هكتار.

لقد اكتفى كلّ من يحي بن خلدون وإسماعيل بن الأحمر بالإشارة فقط إلى موقع مدينة المنصورة، حيث ذكرا أنّها تقع بظاهر تلمسان[2] أي بغربها.

أ – التسمية: أشارت العديد من المصادر التاريخية إلى اسم المدينة التي أسّسها السلطان المريني أبو يعقوب يوسف، فقد أورد كلّ من ابن أبي زرع[3] وابن الأحمر[4] والتنسي[5] اسم "تلمسان الجديدة"، بينما ذكرت المصادر الأخرى[6] أنّ أبا يعقوب المريني سمّى مدينته الجديدة بالمنصورة تيمّنا وتبرّكا بالنصر، لكن ما يلفت الانتباه الاسم الآخر الذي نقله ابن أبي زرع وهو"المحلّة"[7].

ب – إستراتيجية اختيار الموقع: لقد أغفلت المصادر التاريخية جميعها عن تلك الإستراتيجية التي كان يتوخاها الأمير المريني في اختياره لهذا الموقع دون غيره، إذ من المعروف أنّ مؤسّسي المدن المشيّدة في بلاد المغرب الإسلامي مثل القيروان وتيهرت وفاس وبجاية قد اختاروا مواقعها وفق إستراتيجية معيّنة، فمدينة المنصورة لا تخرج إذاً عن القاعدة، فما هي الإستراتيجية التي اتّبعها

السلطان المريني أبو يعقوب في اختياره لموقع المنصورة؟ يمكن أن نتصوّر بعض الإستراتيجيات التي على أساسها بنيت المدينة المرينية ونجملها فيما يلي:

أ – لقد اختار أبو يعقوب هذا الموقع نظرا لقربه من عاصمة دولته فاس، فيصبح خط الرجعة آمنا بالنسبة إليه ولجيشه في حالة الإخفاق العسكري، كما كان يتوخى اتّقاء ظهره من ضربات الأعداء المفاجئة، لا سيّما بعد سيطرته الكاملة على القبائل والمدن التابعة للحكم الزياني في تلك الجهة.

ب – لم يكن أبو يعقوب يفكّر في بناء مدينته الجديدة بعيدا عن تلمسان، وذلك لمعرفته الدقيقة لمكانة هذه المدينة المتميّزة والمرموقة في التجارة العالمية، بسبب وقوعها وسط شبكة المسالك والطرق التجارية الكبرى، وإنّما كان يهدف في حقيقة الأمر إلى شلّ حركة تلمسان وإغلاق كلّ المنافذ عليها، ومن تمّ الارتقاء بمدينته الجديدة لتبوّء مكانتها في مجال التجارة.

جـ – عدم ملاءمة المواقع الأخرى المناخة لتلمسان، فالجهة الشرقية تعرّض الجيوش المرينية إلى المباغتة من قبل الحفصيين الذين كانوا يسيطرون على الجهة الشرقية للمملكة الزيانية، وأمّا الجهة الجنوبية فهي منطقة جبلية لا تليق لإقامة مدينة كبيرة، وأمّا الجهة الشمالية فعبارة عن منخفض تطل عليه مدينة تلمسان، وعليه فالجهة الغربية كانت الأنسب لتشييد المدينة.

3 – نشأة المدينة وعمرانها: بعد استقراء المصادر التاريخية تأكّدنا أنّ مدينة المنصورة شيّدت خلال مرحلتين تاريخيتين مختلفتين، فأمّا الأولى فكانت في عهد السلطان المريني أبي يعقوب يوسف، وأمّا الثانية فكانت في عهد حفيده أبي الحسن المريني، وفي ظرف زمني قصير انتقلت هذه المدينة حسب شهادة عبد الرحمن بن خلدون من مجرّد معسكر إلى مدينة تضاهي الحواضر الإسلامية المعاصرة لها لاتّساع رقعتها وانتشار عمرانها وازدهار تجارتها، فصارت قبلة للتجار ورسل مصر والشام وبني حفص[8].

أ – المرحلة الأولى: يتّفق كلّ المؤرّخين القدماء على أنّ بداية تأسيس مدينة المنصورة كان سنة 698هـ/1299م[9]، باستثناء السلاوي صاحب كتاب الاستقصاء، الذي يقدّم سنة 702هـ/1303م كتاريخ لوضع الأسس الأولى للمدينة[10]، في حين يرد هذا التاريخ في المصادر التاريخية الأخرى لتعيين تاريخ الانتهاء من بناء المدينة.

اغتنم السلطان المريني أبو يعقوب يوسف فرصة غياب السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن عن عاصمته تلمسان في مهمّة لتأديب القبائل التي ساعدت المرينيين في حصارهم السابق لتلمسان، وذلك بغية القيام بغارة جديدة عليها بحيث تكون حاسمة وتنهي صمود تلك المدينة التي طالما استعصت عليه.

أرسل أبو يعقوب إلى أخيه يحيى الذي كان عاملا على وجدة طالبا منه السير نحو ندرومة وتاونت للاستيلاء عليهما، فتمّ له ذلك وضمّهما إلى أملاك المرينيين، وبناء على خبر الانتصار سار أبو يعقوب على رأس جيشه نحو المغرب الأوسط وفي طريقه انضم إليه أخوه يحيى، واتّجها سويا صوب العاصمة الزيانية، وقبل وصولهما إليها علم عثمان بن يغمراسن بخبرهما فرجع مسرعا لنجدة مدينته، ووصل بنو مرين إلى ضواحي تلمسان في شعبان من سنة698هـ[11]/ ماي 1299م.

حطّ أبو يعقوب رحاله بمكان غرب مدينة تلمسان يدعى مشجر بن الصقيل[12] وطوّق المدينة من جميع الجهات ضاربا الحصار عليها، ويشير عبد الرحمن بن خلدون إلى أنّه أحاطها بسياج من الأسوار فتح فيها أبوابا ومداخل لحربها، وأردفه بخندق عميق[13]. لا شك أنّ هذه الترتيبات والتحصينات التي أقامها أبو يعقوب تدخل ضمن الإستراتيجية والتكتيك الحربي، فهدفه من بناء الأسوار في الجهة الغربية من تلمسان هو من دون شك حماية المدينة الجديدة التي ينوي الشروع في بنائها.

إنّ من عادة بناة المدن الإسلامية التخطيط أوّلا لبناء المسجد الجامع ثمّ يليها بناء المنشآت المعمارية الأخرى سواء الرسمية منها كدار الإمارة والقصر ودار السكة وغيرها أو المرافق العامّة كالحمّامات والفنادق والمستشفيات والأسواق[14]، إلاّ أنّ ما حدث في مدينة المنصورة شذّ عن هذه القاعدة، إذ أنّ أوّل ما أمر أبو يعقوب يوسف ببنائه كان القصر الذي أقيم بموضع الفساطيط، ولمّا انتهى من القصر أقام إلى جانبه مسجدا لأداء الصلوات الخمس، ثمّ أحاطهما بسور[15].

بإمكاننا طرح تساؤل عن مغزى تشييد القصر قبل المنشآت المعمارية الأخرى وبالخصوص قبل المسجد الجامع، لقد علّل ابن أبي زرع تصرّف السلطان المريني بقوله: "إلى أن دخل فصل الشتاء، فابتدأ أمير المؤمنين ببناء قصره"، فالغاية إذاً من الابتداء بالقصر كانت من دون شك الاحتماء من الأمطار الغزيرة وبرودة وقساوة الجو والطبيعة التي تمتاز بها المنطقة في فصل الشتاء،

اغتنم السلطان المريني أبو يعقوب يوسف فرصة غياب السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن عن عاصمته تلمسان في مهمّة لتأديب القبائل التي ساعدت المرينيين في حصارهم السابق لتلمسان، وذلك بغية القيام بغارة جديدة عليها بحيث تكون حاسمة وتنهي صمود تلك المدينة التي طالما استعصت عليه.

أرسل أبو يعقوب إلى أخيه يحيى الذي كان عاملا على وجدة طالبا منه السير نحو ندرومة وتاونت للاستيلاء عليهما، فتمّ له ذلك وضمّهما إلى أملاك المرينيين، وبناء على خبر الانتصار سار أبو يعقوب على رأس جيشه نحو المغرب الأوسط وفي طريقه انضم إليه أخوه يحيى، واتّجها سويا صوب العاصمة الزيانية، وقبل وصولهما إليها علم عثمان بن يغمراسن بخبرهما فرجع مسرعا لنجدة مدينته، ووصل بنو مرين إلى ضواحي تلمسان في شعبان من سنة698هـ[11]/ ماي 1299م.

حطّ أبو يعقوب رحاله بمكان غرب مدينة تلمسان يدعى مشجر بن الصقيل[12] وطوّق المدينة من جميع الجهات ضاربا الحصار عليها، ويشير عبد الرحمن بن خلدون إلى أنّه أحاطها بسياج من الأسوار فتح فيها أبوابا ومداخل لحربها، وأردفه بخندق عميق[13]. لا شك أنّ هذه الترتيبات والتحصينات التي أقامها أبو يعقوب تدخل ضمن الإستراتيجية والتكتيك الحربي. فهدفه من بناء الأسوار في الجهة الغربية من تلمسان هو من دون شك حماية المدينة الجديدة التي ينوي الشروع في بنائها.

إنّ من عادة بناة المدن الإسلامية التخطيط أوّلا لبناء المسجد الجامع ثمّ يليها بناء المنشآت المعمارية الأخرى سواء الرسمية منها كدار الإمارة والقصر ودار السكة وغيرها أو المرافق العامّة كالحمّامات والفنادق والمستشفيات والأسواق[14]، إلاّ أنّ ما حدث في مدينة المنصورة شذّ عن هذه القاعدة، إذ أنّ أوّل ما أمر أبو يعقوب يوسف ببنائه كان القصر الذي أقيم بموضع الفساطيط، ولمّا انتهى من القصر أقام إلى جانبه مسجدا لأداء الصلوات الخمس، ثمّ أحاطهما بسور[15].

بإمكاننا طرح تساؤل عن مغزى تشييد القصر قبل المنشآت المعمارية الأخرى وبالخصوص قبل المسجد الجامع، لقد علّل ابن أبي زرع تصرّف السلطان المريني بقوله: "إلى أن دخل فصل الشتاء، فابتدأ أمير المؤمنين ببناء قصره"، فالغاية إذاً من الابتداء بالقصر كانت من دون شك الاحتماء من الأمطار الغزيرة وبرودة وقساوة الجو والطبيعة التي تمتاز بها المنطقة في فصل الشتاء،

اغتنم السلطان المريني أبو يعقوب يوسف فرصة غياب السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن عن عاصمته تلمسان في مهمّة لتأديب القبائل التي ساعدت المرينيين في حصارهم السابق لتلمسان، وذلك بغية القيام بغارة جديدة عليها بحيث تكون حاسمة وتنهي صمود تلك المدينة التي طالما استعصت عليه.

أرسل أبو يعقوب إلى أخيه يحيى الذي كان عاملا على وجدة طالبا منه السير نحو ندرومة وتاونت للاستيلاء عليهما، فتمّ له ذلك وضمّهما إلى أملاك المرينيين، وبناء على خبر الانتصار سار أبو يعقوب على رأس جيشه نحو المغرب الأوسط وفي طريقه انضم إليه أخوه يحيى، واتّجها سويا صوب العاصمة الزيانية، وقبل وصولهما إليها علم عثمان بن يغمراسن بخبرهما فرجع مسرعا لنجدة مدينته، ووصل بنو مرين إلى ضواحي تلمسان في شعبان من سنة698هـ[11]/ ماي 1299م.

حطّ أبو يعقوب رحاله بمكان غرب مدينة تلمسان يدعى مشجر بن الصقيل[12] وطوّق المدينة من جميع الجهات ضاربا الحصار عليها، ويشير عبد الرحمن بن خلدون إلى أنّه أحاطها بسياج من الأسوار فتح فيها أبوابا ومداخل لحربها، وأردفه بخندق عميق[13]. لا شك أنّ هذه الترتيبات والتحصينات التي أقامها أبو يعقوب تدخل ضمن الإستراتيجية والتكتيك الحربي. فهدفه من بناء الأسوار في الجهة الغربية من تلمسان هو من دون شك حماية المدينة الجديدة التي ينوي الشروع في بنائها.

إنّ من عادة بناة المدن الإسلامية التخطيط أوّلا لبناء المسجد الجامع ثمّ يليها بناء المنشآت المعمارية الأخرى سواء الرسمية منها كدار الإمارة والقصر ودار السكة وغيرها أو المرافق العامّة كالحمّامات والفنادق والمستشفيات والأسواق[14]، إلاّ أنّ ما حدث في مدينة المنصورة شذّ عن هذه القاعدة، إذ أنّ أوّل ما أمر أبو يعقوب يوسف ببنائه كان القصر الذي أقيم بموضع الفساطيط، ولمّا انتهى من القصر أقام إلى جانبه مسجدا لأداء الصلوات الخمس، ثمّ أحاطهما بسور[15].

بإمكاننا طرح تساؤل عن مغزى تشييد القصر قبل المنشآت المعمارية الأخرى وبالخصوص قبل المسجد الجامع، لقد علّل ابن أبي زرع تصرّف السلطان المريني بقوله: "إلى أن دخل فصل الشتاء، فابتدأ أمير المؤمنين ببناء قصره"، فالغاية إذاً من الابتداء بالقصر كانت من دون شك الاحتماء من الأمطار الغزيرة وبرودة وقساوة الجو والطبيعة التي تمتاز بها المنطقة في فصل الشتاء،

حيث أنّ فساطيط السلطان المريني وخيم الجنود لا يمكنها الصمود في ظل هذه الظروف الصعبة، وبالتالي لن تسمح له من الوصول إلى هدفه المنشود، لاسيّما أنّه كان عاقدا العزم هذه المرّة على اقتحام تلمسان المستعصية.

بعد أن بنى أبو يعقوب قصره والمسجد المحاذي له، أمر الناس بالبناء من حواليهما، فشرعوا في تشييد منازلهم ودورهم، واتّخذوا البساتين، وجلبوا المياه الضرورية للحياة من الينابيع عبر القنوات والسواقي[16].

وقد أولى أبو يعقوب عناية للمرافق العامّة الضرورية للحياة فابتنى الحمّامات التي كانت مكانا يلجأ إليه الناس في كلّ أسبوع على الأقل للاستحمام وإزالة ما علق على أجسادهم من الأوساخ[17]، إضافة إلى أنّ الدين الإسلامي الحنيف يدعو ويحثّ المسلمين على طهارة البدن للقيام بالعبادات، ثمّ رافق ذلك بمجموعة من المنشآت المعمارية العامّة الأخرى كالفنادق التي عادة ما تكون بالقرب من المداخل الرئيسية للمدينة، والأسواق التي لا يمكن الاستغناء عنها في المدينة، فبواسطتها تتمّ التبادلات التجارية، بحيث تتبادل سلع الريف بسلع المدينة.

وممّا يدل على اهتمام الأمير أبي يعقوب ومبالغته في إعداد مدينته الجديدة إعدادا يليق بمقامه ومقام دولته إنشاؤه لبيماريستان (المستشفى) لمداواة المرضى وجرحى الحروب، ولا شك أنّه جعل فيه من الشروط المناسبة بما يساعد على شفاء المرضى لاسيما الجنود وتحسين عالتهم الصحية.

لا بدّ من الإشارة إلى أنّه لم يتسنّ لنا تحديد مواقع هذه المنشآت في مدينة أبي يعقوب وذلك نظرا لسببين رئيسيين هما:

– إنّ المصادر التاريخية التي أوردت المعلومات حول هذه المدينة لم تشر بتاتا إلى موضع أي منشأة معمارية مهما كانت أهمّيتها، ففي العادة يتمّ تحديد موضعها بالنسبة للمدينة ككل أو بالنسبة لمعلم ذي أهمية مثل المسجد الجامع أو مدخل من مداخل المدينة.

– إنّ مدينة أبي يعقوب تمّ تخريبها من قبل الزيانيين بعد رحيل المرينيين منها نحو المغرب الأقصى إثر وفاة أميرهم أبي يعقوب يوسف سنة 706هـ/1307م[18].

بعد أن انتهى السلطان المريني من تشييد المرافق العامّة التي تحتاج إليها المدينة سنة 703هـ/1303م، شرع في تطويق مدينته بسور ضخم[19]. إنّ ما يمكن ملاحظته عند الاعتماد على

الترتيب الوصفي الذي أورده عبد الرحمن بن خلدون في كتابه العبر[20]، والذي يعدّ في نظرنا المصدر الوحيد الذي قدّم لنا وصفا شافيا وكافيا عن مدينة المنصورة مقارنة بالمصادر الأخرى, أنّ الأمير المريني لم يفكّر في بناء المسجد الأعظم داخل مدينته الجديدة، إلاّ بعد إحاطتها كلّيا بسور.

لقد أشارت المصادر التاريخية بالفعل إلى بناء المسجد الأعظم (الشكل رقم: 4 و5)، إلاّ أنّها لم تذكر أنّ هذا المبنى لم يكتمل في عهد أبي يعقوب بل انتهي منه في عهد أبي الحسن المريني ونستند في ذلك إلى أمرين:

– أوّلهما أنّ الشريط الكتابي الذي يتوّج واجهة مدخل المئذنة (اللوحة رقم:3)، يحمل نصا ينعت فيه السلطان أبو يعقوب بلفظ "المرحوم"[21]، ممّا يدل على أنّ الانتهاء من إنشائها كان بعد وفاته، حيث رحل المرينيون إلى موطنهم فاس ولم يحاولوا الاستيلاء على تلمسان مرّة أخرى سوى في عهد أبي الحسن.

– ثانيهما أنّ المسجد الأعظم بشهادة ابن مرزوق الحفيد لم يتم بناؤه إلاّ في عهد أبي الحسن المريني[22]، حيث كانت الظروف ملائمة جدّاً، إذ أنّه تمكّن من السيطرة على مدينة تلمسان، فكيف بسلفه أن يتمّم البناء وهو محاصرا لها؟!.

ب – المرحلة الثانية: بعد أن قضى أبو الحسن على أخيه المنافس له سنة 734هـ/1333م وانفرد بالملك، اتّجهت أنظاره نحو تلمسان إثر خروج سلطانها أبي تاشفين إلى أعمال الحفصيين، فجمع جيشه قاصدا تلمسان وفي طريقه استولى على ندرومة وهنين ووهران، ثمّ حطّ رحاله بغرب تلمسان في شوال سنة 735 هـ/1334م[23]، حيث مدينة جدّه المنصورة المخرّبة التي ابتنى فيها قصرا له، ثمّ أحاط المدينة بسور وأتبعه بخندق[24] وذلك أثناء محاصرته مدّة سنتين لتلمسان التي استولى عليها سنة 737هـ/1337م، وبقى فيها مدّة أحد عشر عاما.

يشير ابن مرزوق إلى أنّ مدينة المنصورة في أيّام أبي الحسن المريني كانت ذات خصائص متميّزة من الناحية المعمارية، ولا سيّما قصر السلطان ومسكن الإمام. وأمّا جامعها فيضعه في المرتبة الثانية بعد جامع قرطبة من حيث حسن التخطيط وجمال الشكل وروعة الزخرفة والتسميق، كما يقارنه بجامع الكتبيين بمراكش، ويرى أنّه يفوقه فخامة لما يحويه من رخام مجزّع دقيق الصنع، ومنبر يشتمل على زخارف دقيقة وصغيرة الحجم بقدر البندق والحمص، وبالنسبة لمئذنة الجامع فيعتبرها حسب ما نقله إليه الرحالة والمتجوّلون فريدة في نوعها في العالم الإسلامي[25].

كما اشتملت المدينة على مجموعة من المساجد التي أعطانا ابن مرزوق أمثلة منها كالمساجد التي كانت تحاذي باب الحجاز وباب فاس وباب هنين[26].

ويواصل ابن مرزوق حديثه عن المنصورة فيشير إلى بعض المنشآت المعمارية العامّة كالمدرسة المجاورة للجامع، كما لم يغفل من وصف وسائل الري المستخدمة في المدينة من قنوات وسواقي الناقلة للمياه[27].

إنّ معلوماتنا عن أحياء مدينة المنصورة منعدمة، إذ لم يرد لها ذكرا في المصادر التاريخية، كما لم تجر فيها تنقيبات أثرية واسعة بحيث يمكن من خلالها توضيح حقائق وأشياء كثيرة وإزالة الغموض الذي ما زال ينتاب العديد من المنشآت المعمارية المشكّلة للمدينة المرينية، ومن المعلوم أنّ الأحياء في المدينة الإسلامية تصنّف في أغلب الأحيان على أسس مختلفة، كأن تكون حسب القبائل المكوّنة للمجتمع أو أن تكون حسب فئات الموظّفين، كما يمكن أن تقسّم الأحياء على حسب الفئات الحرفية[28].

وتعوزنا المعلومات حول قصبة المدينة، وباعتبار أنّ المنصورة مدينة عسكرية، فمن الضروري أن تشمل على قصبة تحتل موقعا مرتفعا بحيث تشرف على المدينة.

الخاتمة: لقد نشأت مدينة المنصورة في ظروف استثنائية صعبة، فانتقلت في ظرف زمني قصير من مجرّد معسكر للجنود يضرب حصارا على مدينة تلمسان إلى مدينة مزدهرة عامرة يقصدها التجار، وقد كانت مشتملة على كلّ المرافق الضرورية للحياة، ولم يخرج مؤسّسها عن القواعد المعروفة في تأسيس المدن الإسلامية إلاّ في الابتداء ببناء القصر بدلا من المسجد الجامع، وكان ذلك بسبب الظروف التي كانت تحيط بالمؤسّس.

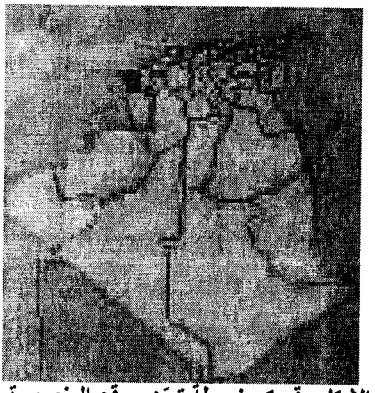

الشكل رقم 1: خريطة تبيّن موقع المنصورة

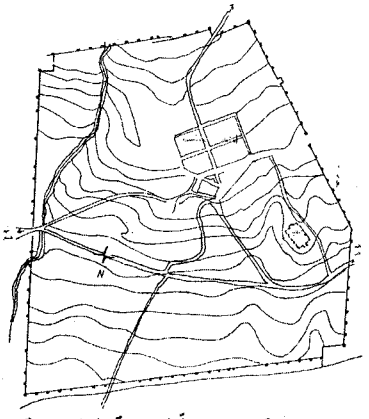

الشكل رقم 2: مخطّط مدينة المنصورة

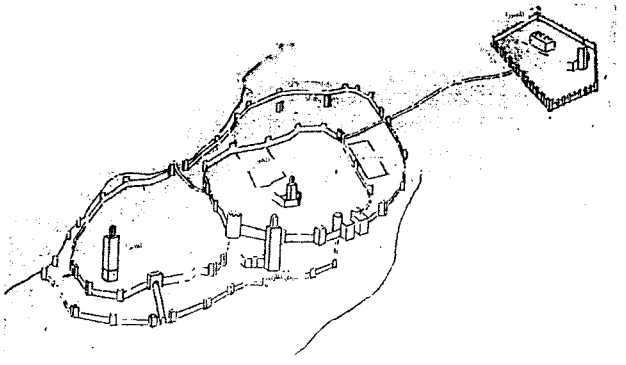

الشكل رقم 3: تلمسان والمنصورة في القرن 14م

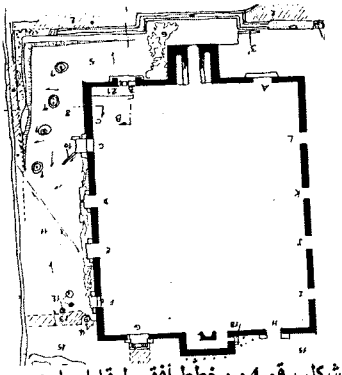

الشكل رقم 4: مخطّط أفقي لبقايا جامع المنصورة

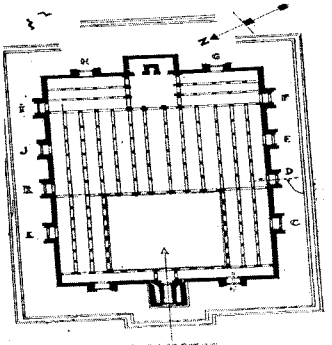

الشكل رقم 5 : مخطّط تصوّري لجامع المنصور

اللوحة رقم 1: منظر عام لمدينة المنصورة عن/ Google cart

اللوحة رقم 2: بعض أطلال مدينة المنصورة

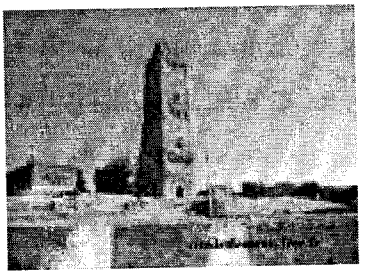

اللوحة رقم 3: أطلال الجامع ومئذنته الشامخة

هوامش البحث

1- قام السلطان المريني أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق بعدّة محاولات للظفر بمدينة الزيانيين وبالتالي القضاء على دولتهم، وكان ذلك في السنوات 689 هـ/ 1290م، و695 هـ/ 1296م، و696 هـ/ 1297م، و697 هـ/ 1298م. ينظر عبد الرحمن بن خلدون،، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج: 7، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1968، ص: 195.

2- يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج:1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص:210.

3- علي بن محمد (ابن أبي زرع)،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ت، ص:367.

4- أبو الوليد (ابن الأحمر)، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص:50.

5- أبو عبد الله التنسي، نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياد، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، 1975م، ص:199.

6- ينظر عبد ال حمن بن خلدون، المصدر السابق، ص:459. ويحي بن خلدون، المصدر السابق، ص:210. وأبو العباس أحمد السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج:3، ص: 79.

7- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص: 367.

8- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، مج:7، ص: 459.

9- ينظر يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص:209. وعلي بن محمد بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، د.ت، ص:367، وأبو الوليد ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: